محاضرات مقياس ' الأدب المقارن '

السنة الثانية دراسات لغوية

د. سهيلة بن عمر

المحاضرة الخامسة : مدارس الأدب المقارن 4- المدرسة العربية

عناصر المحاضرة :

1- بداية الدراسات المقارنة عند العرب .
2- تطور الدراسات المقارنة .
3- التأليف المنهجي في الأدب المقارن .
4- الأدب المقارن في الجزائر.

1- بداية الدراسات المقارنة عند العرب :

يعتبر منتصف القرن التاسع عشر ، البدايات الأولى للأدب المقارن عند العرب ، على يد رواد النهضة العربية ، من خلال التركيز على دراسة التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة ، لكنهم لم يتطرقوا إلى دراسة التأثير والتأثر ، وعلى الرغم من وجود إرهاصات الدرس المقارني في تراثنا العربي ، لكن اهتم رواد النهضة بإرساء معالم الأدب المقارن بعيدا عن أفكار المدرسة الفرنسية والأمريكية – كان لهم السبق - .

عمل كل من رفاعة الطهطاوي ، علي مبارك ، أديب اسحاق ، أحمد فارس الشدياق ، يعقوب صروف ، بمقارنة بعض مظاهر الثقافة العربية بالثقافة الغربية ودرسوا جوانب من التشابه والاختلاف بينهما .

ويمكن اعتبار رفاعة رافع الطهطاوي (توفي 1873م) أول من تطرق إلى البحث المقارن بين الثقافات الشرقية والغربية ، من خلال ترجمة بعض الأعمال الفرنسية إلى اللغة العربية ، كما ألف كتابه المشهور ' تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز ' ، وهو مقارنة سطحية بين الثقافتين العربية والإفرنجية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر للميلاد اهتم رواد النهضة العربية مقارنة التراث العربي بالآداب الغربية ، كما اهتموا بالترجمة والاقتباس من التراث الغربي ، ولم يتطرق هؤلاء النهضويين العرب إلى ظاهرة التأثير والتأثر بل كان هدفهم تعريف القارئ العربي ببلاغة الإفرنج والاستفادة منها في نهضة الأدب العربي .

من رواد هذه الفترة أديب اسحاق مؤلف كتاب الأسلوب وظاهرة البديع ، أحمد فارس الشدياق الذي ألف عدة كتب في مجال المقارنة بعد عودته من رحلة طويلة في ربوع أروبا ، ومن أهم كتبه ' مقارنة بين المديح العربي والغربي ' .

2- تطور الدراسات المقارنة :

ازدهرت حركة الترجمة والاقتباس في أوائل القرن العشرين للميلاد بعد الانفتاح نحو الغرب ، ويعدُّ كتاب روحي الخالدي ' تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو ' 1904م ، تناول هذا الكتاب التشابه بين الشعر الافرنجي والشعر العربي السابق له ، كما تناول أثر

الشعر الأندلسي في بعض أشكاله ومضامينه في شعر التربادور الجنوبين والتروفير الشماليين وتأثر الإفرنج بقصص عربية في العصور الوسطى .

كما ترجم سليمان البستاني ' الإلياذة ' لهوميروس سنة 1904 م ، إلى جانب كتاب ' منهل الوارد في علم الانتقاد لــ قسطاكي الحمصي الحلبي ' ، الذي تناول تأثر دانتي برسالة الغفران لأبي العلاء المعري .

ومن الملاحظ أن أغلب الدراسات المقارنة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين ، كانت في مجملها دراسات تطبيقية ، ولم تهتم بمناقشة نظريات الغربيين ، وقد ظهر مصطلح الأدب المقارن لأول مرة عام 1936م ، عند كل من خليل هنداوي وفخري أبو السعود في مقالات بمجلة الرسالة ، وهي ترجمة للمصطلح الفرنسي ... كما نسجل تزامن ظهور الدارسات العربية المقارنة مع المدرسة الفرنسية قبل ظهور المدارس (الأمريكية ، السلافية ، الألمانية) ، وعلى الرغم من اختلافهم واتفاقهم مع بعض جوانب النزعة التاريخية ، إلا أنهم المقارنين العرب حاولوا أن يكيفوا دراساتهم حسب حاجاتهم النهضوية وتقاليدهم الأدبية والعقائدية .

3- التأليف المنهجي في الأدب المقارن :

صدر سنة 1948م كتاب ' من الأدب المقارن ' لــ نجيب العقيقي ، وهو عبارة عن دراسات في الأدب والنقد لا علاقة لها بالأدب المقارن ، وفي عام 1949 ظهر كتاب عبد الرزاق حميدة ' في الأدب المقارن ' ، الذي قارن فيه بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي ، من الناحية الجمالية دون التطرق إلى الأثر والتأثر بينهما .

وفي سنة 1951م أصدر ابراهيم سلامة ، كتاب تيارات أدبية بين الشرق والغرب ، خطة ودراسة في الأدب المقارن ، تناول بالمقارنة الأدبين العربي والاغريقي في كل الفنون تقريبا دون التطرق إلى الصلات التاريخية بينهما .

جل هذه الدراسات خلال الأربعينيات تميزت بسطحيتها ، ومع بدايات الخمسينيات تعمقت هذه الدراسات بفضل جهود الناقد المصري محمد غنيمي هلال ، من خلال كتابه ' الأدب المقارن ' 1953م ، تناول التعريف بالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن عُرف بميله للمقارنين الفرنسيين ونقل عنهم ما جاء في كتبهم حرفيا ' فان تيغم - كاريه – غويار '

كما نشر محمد البحيري 1953 م كتاب ' الأدب المقارن ' ولم يختلف عن ما قدمه غنيمي قبله . وفي فترة الستينيات توجهت أغلب الدراسات نحو الطابع الأكاديمي منها :

- **دراسات في الأدب المقارن لـ عبد المنعم خفاجي .**
- **الأدب المقارن لـ حسن جاد .**
- **الأدب المقارن لـ طه ندا .**
- **رحلة الأدب العربي إلى أوربا لـ محمد مفيد الشوباشي .**

أما في فترة السبعينيات ازدهر البحث في ميدان الأدب المقارن وتبنته أغلب الجامعات العربية كتخصص ، ومن أبرز أعلام هذه الفترة ' حسام الخطيب ، بديع محمد جمعة ، ريمون طحان ، إحسان عباس ' .

كما تميز الباحث المقارن في هذه الفترة بالانفتاح على المؤثرات الأجنبية في الأدب دون التعصب .

وبعيدا عن الارهاصات ، تعدُّ مرحلة الثمانينيات – مرحلة النضج والازدهار - ، من خلال ظهور جيل جديد من المقارنيين العرب ركزوا على رد الاعتبار للأدب العربي في عصور مختلفة ، ومن أبرز المقارنيين في هذه الفترة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الدكتور داود سلوم ، الدكتور مناف منصور صاحب كتاب ' مدخل إلى الأدب المقارن ' ، والدكتور عز الدين المناصرة ' المثاقفة والنقد المقارن منظور إشكالي ' .

4- الأدب المقارن في الجزائر:

نشأت الجامعة الجزائرية سنة 1904م ، وبدأ تدريس الأدب المقارن منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين ، لم تختلف مبادئ تدريس هذا الحقل عن ما كان في فرنسا ، حسب المنهج الفرنسي .

ويعدُّ الدكتور محمد بن شنب من الأساتذة الجزائريين الأوائل الذي عمل في هذا الحقل ، ساهم بمقال ' المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية ' نشر سنة 1919م في المجلة الإفريقية .

مع بدايات الاستقلال ، وفي سنة 1963م أسس الأستاذ سعد الدين بن شنب نجل محمد بن شنب فرع الأدب المقارن بكلية الأدب المقارن بكلية الآداب بجامعة الجزائر بمساعدة جمال الدين بن الشيخ .

وفي سنة 1967/ 1968م بدأت عملية التعريب تشق طريقها ، فعُربت شهادة الأدب العام والمقارن ضمن مقررات قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الجزائر التي كانت الجامعة الوحيدة في الوطن وقتذاك .

وكانت أغلب دروس الأدب المقارن في الجامعة الجزائرية (1962- 1970) امتداد لدروس الأدب المقارن في الجامعة الفرنسية ، وأنتج ذلك :

- **تأسيس أول جمعية قومية (وطنية) عربية في الأدب المقارن ' جمعية الأدب المقارن الجزائرية ' 1964 م ، وترأسها جمال الدين بن الشيخ .**
- **تأسيس أول مجلة عربية في الأدب المقارن هي ' دفاتر الأدب المقارن الجزائرية ' 1966م**

خلال فترة السبعينيات تميز درس الأدب المقارن بغلبة الطابع المدرسي والشكلي ، نستثني جهود الدكتور أبو العيد دودو (1969 – 2004) الذي تكفل بتدريس الأدب المقارن ، مؤطرا العديد من طلبة الماجستير والدكتواره .

ومع بداية الثمانينات شهدت الجامعة الجزائرية عودة الطلبة من التكوين الإقامي الخارجي بشهادات عليا ، مثل : الزبير دراقي ، الطيب بودربالة ، عبد المجيد حنون ....

ومن المؤلفات التي أُلفت حول الأدب المقارن بأقلام جزائرية نذكر منها :

- **د/ عبد المجيد حنون ، المدرسة التاريخية وأبرز روادها في النقد العربي الحديث ، منشورات دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، 2010.**
- **د/ حفناوي بعلي ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، 2007.**
- **د/ محمد عباسة ، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التربادور ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2012.**